

وقد بلغت رايات الجيش الموحدى ثلاثمائة راية⁽¹⁾. ويظهر أن كثرة الرايات قصد بها إرهاب العدو وتثبيت نفوس المقاتلين⁽²⁾. كما أن علم الوحدة العسكرية يهدي المقاتل متى يثبت ومتى يقدم ومتى يتراجع⁽³⁾.

ومما تميّز به الجيش الموحدى كثرة الأسلحة وتنوعها. ولم يكن للموحدين في فترة إيجيليز عدة لأن الدفاع عملهم الحربي الأساسي⁽⁴⁾، ولكن الأسلحة بدأت تكثر وتنوع بما يعمّون من المرابطين⁽⁵⁾. فلما خرج عبد المؤمن في حملته الطويلة الأعوام كان سلاح الموحدى هو الدرق والرماح⁽⁶⁾، بينما يلمح أن القسي والنبال كانت بعد فتح مراكش مباشرة من أهم أسلحتهم وبها انتصروا على ثورة المآسي⁽⁷⁾. وفي عصر الازدهار يلاحظ أن الجيش الموحدى كان يُسلّح بالسيوف والدروع والبيضات والرماح والدرق والقسي والسهام والتروس⁽⁸⁾ ومن أشهر أسلحتهم السيوف الهندية والدرق اللمطية والقسي الخفية⁽⁹⁾ والرماح الطوال⁽¹⁰⁾.

وإذا ما اعتزم الخليفة حرباً يأمر بضرب السلاح في جميع طاعته⁽¹¹⁾ أو قد يكتفي بالمناطق التي ستمر عليها العساكر في طريقها إلى مكان قتالها⁽¹²⁾. وكان

- (1) المعجب ص 232.
- (2) نظم الجمان ص 128، العبر ج 1 ص 463.
- (3) البيان المغرب ج 3 ص 127.
- (4) نظم الجمان ص 84.
- (5) المصدر ذاته ص 82، 84، 89، 91، 99.
- (6) المصدر ذاته ص 241.
- (7) الحلل الموشية ص 121.
- (8) راجع المن بالإمامة ص 201-202، 215، 430، 483.
- (9) البيان المغرب ج 3 ص 133 وعن الدرق اللمطية أنظر الاستبصار ص 214.
- (10) المن بالإمامة ص 215، 493.
- (11) المن بالإمامة ص 215، روض القرطاس ص 131.
- (12) البيان المغرب ج 3 ص 174.

يضرب لعبد المؤمن من السهام وحدها عشرة قناطير يومياً⁽¹⁾. وإن كان في هذه الرواية مبالغة فيكفي أن تدل على اهتمام الخلفاء بضرب السلاح وانتشار دور الضرب. وإلى جانب السلاح كانت تعد الخيل⁽²⁾ والمعدات من روايا وقرب وحياض⁽³⁾. ومتى تمّ الاستعداد ورّعت الأسلحة على الجند وبدأ المسير⁽⁴⁾. والأسلحة لا توزّع على العساكر في حالة الحرب وحسب فقد كانت تفرق في حالات استقبال جيش قادم على الحضرة للإشتراك في غزو مرتقب أو استقبال جيش عائد من قتال⁽⁵⁾.

وتفوّق الموحدون على المرابطين في فنون الدفاع والحصار فمنذ بداية الثورة الموحدية كان الموحدون يحسنون فنوناً للدفاع يدلك عليها اختيارهم جبل درن موطناً لثورتهم وهو ما هو حصانة⁽⁶⁾، واتخاذهم إيجيليز ثم تينملل مركزاً لأعمالهم الحربية. وفوق حصانة الموضعين الطبيعية فقد حصّنوا الأولى⁽⁷⁾، وسوروا الثانية⁽⁸⁾، وحفروا حولها خندقاً⁽⁹⁾، وشيدوا برجاً للمراقبة⁽¹⁰⁾. ولازمتهم هذه الميزة الدفاعية عندما تحولوا من الدفاع إلى الهجوم، ففي هجومهم الأول على مراكش عام البحيرة (1130/524) بنوا سوراً حول محلّتهم⁽¹¹⁾. وفي حصار

- (1) روض القرطاس ص 127.
- (2) المن بالإمامة ص 215، روض القرطاس ص 131.
- (3) الكامل ج 11 ص 241، نهاية الأرب ص 210.
- (4) المن بالإمامة ص 215، 430.
- (5) المصدر ذاته ص 289.
- (6) أنظر الحلل الموشية ص 92-93.
- (7) نظم الجمان ص 82-83، البيان المغرب (ط. دار الثقافة) ج 4 ص 68.
- (8) عن حصانة تينملل والسور الذي بناه الموحدون راجع نظم الجمان ص 95، الحلل الموشية ص 92، (Huici: v. 1, P. 73 - 74).
- (9) نظم الجمان ص 87.
- (10) أخبار المهدي ص 80.
- (11) نظم الجمان ص 117.

فأس عملوا سوراً وحفروا خندقاً حول خيمة خليفتهم⁽¹⁾. وغدا فعلهم هذا مثلاً احتلوه في مكناسة⁽²⁾ والمرية⁽³⁾ والمهدية⁽⁴⁾. وفي هذه المدن الثلاث كانوا يشيدون الأسوار حولها مما يسر لهم حصار المدن مدة طويلة حتى تستسلم. وهذا الحصار الذي يدوم أمداً طويلاً كان أحد وسائلهم الأساسية في حصار المدن⁽⁵⁾.

ولم يكن الحصار وسيلتهم الوحيدة، فقد بينون سداً على النهر الذي يدخل المدينة ثم يهدمون ذلك السد فتندفع المياه فتهدم أسوار المدينة مثل الذي فعلوه في حصار فاس⁽⁶⁾، وقد يمنعون الماء عن المدينة المحاصرة⁽⁷⁾، أو يحاصروها اقتصادياً بتخريب ما حولها من زرع⁽⁸⁾ ومنع التجارة معها⁽⁹⁾. وكثيراً ما يداخلون المحاصرين حتى تستسلم المدينة في أقصر وقت ممكن⁽¹⁰⁾.

وكل هذه الوسائل كانت مستعملة قبل فتح مراكش وظلت مستعملة بعد ذلك، ولكن منذ حصار سلا ومراكش بدأ الموحدون يستخدمون آلات كثيرة

(1) البيان المغرب ج 3 ص 19، نهاية الأرب ص 199.

(2) الحلل الموشية ص 112.

(3) الكامل ج 11 ص 224، روض القرطاس ص 126، نهاية الأرب ص 209.

(4) الكامل ج 11 ص 243-245، نهاية الأرب ص 211-213.

(5) راجع فتح تلمسان ومراكش والمهدية في المعجب ص 229-230، الكامل ج 10 ص 582-584، ج 11 ص 242-245، البيان المغرب ج 3 ص 19، 22، 39، الحلل الموشية ص 111، 113-114، 128، روض القرطاس ص 129، نهاية الأرب ص 199-201، 211-213.

(6) الكامل ج 10 ص 581، 582، الحلل الموشية ص 111-112، روض القرطاس ص 123.

(7) المن بالإمامة ص 498-501، المعجب ص 251-251، البيان المغرب ج 3 ص 96.

(8) رسائل موحدية ص 234، 236، المعجب ص 283، البيان المغرب ج 3 ص 199، 203.

(9) رسائل موحدية ص 13.

(10) استخدموا المداخلة في فتح فاس (الكامل ج 10 ص 581، البيان المغرب ج 3 ص 19) وسلا (البيان المغرب ج 3 ص 20) وبجاية (الحلل الموشية ص 123، روض القرطاس ص 126) وقلعة جابر في الأندلس (المن بالإمامة ص 184).

لذلك حصون أعدائهم. ومن الآلات التي أسهمت بنصيب كبير في فتح سلا ومراكش السلال⁽¹⁾ والتي ظلّوا يستخدمونها فيما بعد⁽²⁾. وفي دور الازدهار تنوعت آلات الحصار وتعددت منها المجانيق والدبابات ذات الطوابق والتي تتحرك بالهز كما استخدموا كرات حديدية ملتتهبة⁽³⁾. ومعرفتهم بهذه الكرات الحديدية الملتتهبة قد تبعث على الظن أن الموحدون عرفوا البارود واستخدموه، وعلى الرغم من أن البارود عرف في المغرب بعد سقوط دولة بني عبد المؤمن مباشرة فمن المشكوك فيه أن الموحدون قد عرفوه⁽⁴⁾. ومن الآلات التي كانوا يستخدمونها الكبش⁽⁵⁾ والعرادة⁽⁶⁾.

وأدوات الحصار هذه قد تصنع في الحضرة ثم تحمل إلى موطن الحصار⁽⁷⁾، وربما صنعوها عند موطن الحصار، وقد كانت تنجز في وقت قصير إذ أن الجيش كان يصطحب عدداً كبيراً من الصانع⁽⁸⁾. وإذا ما فتحت المدينة المحاصرة أو فشل حصارها أحرقت تلك الآلات⁽⁹⁾.

وفي أثناء الاستعداد للحصار وفي مدته أيضاً كان الخليفة أو القائد المنوط به الحصار يراقب الأعمال من برج عال يتخذ له يدعى المراقبة أو الديدبان⁽¹⁰⁾. ولكيما يدخل الموحدون الرعب في قلوب المحاصرين كانت الرايات ترفع

(1) البيان المغرب ج 3 ص 20، 23، الحلل الموشية ص 114.

(2) راجع مثلاً البيان المغرب ج 3 ص 134.

(3) راجع رسائل موحدية ص 105-107، 166، 204، 205، البيان المغرب ج 3 ص 114، 184، 222، روض القرطاس ص 153، 156.

(4) أشياخ ص 209، المنوني ص 265.

(5) البيان المغرب ج 3 ص 222.

(6) روض القرطاس ص 153.

(7) البيان المغرب ص 128.

(8) رسائل موحدية ص 105، الحلل الموشية ص 128.

(9) المن بالإمامة ص 502، البيان المغرب ج 3 ص 168.

(10) الكامل ج 10 ص 583، البيان المغرب ج 3 ص 186، الحلل الموشية ص 113، نهاية الأرب ص 200.

والطبول تفرع والتهليل والتكبير يملأ الجو ضجيجاً⁽¹⁾.

والمدن أو الحصون التي يُستعصى فتحها مثل فاس⁽²⁾، أو التي يخشى أن تصبح موطن ثورة وفتنة مثل قفصة⁽³⁾، أو التي قد يستغلها عدوهم مجدداً مثل شتقرس وأبلتانسية وطمار وقلمالة في الأندلس⁽⁴⁾ كانوا يسوون أسوارها بالأرض هدماً. غير أن ذلك لا يدعو إلى الظن بأن الموحدين أهملوا أمر التحصينات إذ أن خلفائهم كثيراً ما شيدوا حصوناً جديدة أو أصلحوا أخرى قديمة. ولما فتح عبد المؤمن تونس بنى بها أبراجاً للمراقبة⁽⁵⁾ ولما فتح المهدية أصلح أسوارها على الرغم من حصانتها الطبيعية⁽⁶⁾. وقام المنصور بتسوير فاس التي هدمها جده وأتم الناصر تسويرها⁽⁷⁾. كما أن المنصور اعتنى بأسوار إشبيلية لما هدمتها السيول⁽⁸⁾، وقد طور الموحدون بناء الحصون فقد كانت تُبنى في المغرب من الحجر والتراب فأدخل الموحدون البناء بالطابية⁽⁹⁾.

ومرتبط بالتحصينات العناية بالثغور وقد أولاه الموحدون عناية كبرى وكانوا يرسلون إلى ثغور الأندلس الأسلحة والرجال⁽¹⁰⁾ ويمدونها بالأقوات مثل القمح

(1) البيان المغرب ج 3 ص 133، 136، 166، 186، 203.

(2) روض القرطاس ص 123.

(3) رسائل موحدية ص 209-210، الاستبصار ص 151، المعجب ص 275، البيان المغرب ج 2 ص 168.

(4) رسائل موحدية ص 232-233، 225، البيان المغرب ج 3 ص 185.

(5) الحلل الموشية ص 128.

(6) الكامل ج 11 ص 245، نهاية الأرب ص 213.

(7) روض القرطاس ص 123.

(8) البيان المغرب ج 3 ص 138.

(9) راجع دراسة د. سالم عن تحصينات الموحدين في مؤلفه المغرب الكبير ج 2 ص 864-858.

(10) راجع في ذلك رسائل موحدية ص 239-240، المن بالإمامة ص 201-202، 206،

398-399، المعجب ص 183، الكامل ج 12 ص 115، وفيات ج 6 ص 8، البيان

المغرب ج 3 ص 29، 53-54، 105-106، 186، نهاية الأرب ص 225.

والشعير والدقيق والزيت والملح فتخزن في مخازن أعدت لهذه الغاية تحسباً لأوقات الشدة ومحاصرة الأعداء⁽¹⁾.

الجيش والحرب:

بعد أن وضحت عناصر الجيش وعدده وأقسامه وتشكيلاته وقيادته وعدته وعتاده بقي النظر إلى مسلح الجيش في الحرب فما هي الروح الموجهة للقتال؟ وكيف يتم الاستعداد؟ وهل للجيش نظام سير ثابت؟ وكيف توضع خطته وما تلك الخطط؟ وما طريقة القتال؟.

الدين والحرب:

قامت الدولة الموحدية نتيجة دعوة دينية تجديدية لغايات سياسية. وكان لهذه الدعوة أثر في سائر النظم التي درسناها فما أثرها في النظام العسكري؟.

صنع الموحدون حروبهم بالصبغة الدينية وجعلوا الروح الدينية هي الموجهة للجنود. وقد ظن الموحدون في أنفسهم أنهم أهل الإيمان الحق وسواهم من المسلمين مجسمة كافرون، لا سيما أولئك الذين لم يخضعوا لسلطان دولتهم. فاعداؤهم - والحالة هذه - نصارى إسبانيا، والمسلمون الذين يعيشون خارج حدود دولتهم، أو أولئك الذين يعيشون داخل الدولة ويشورون عليها كل ما وات الفرصة. فحروبهم جهاد لإعلاء كلمة الله كما فهموها. ونسبة لتداخل العامل الديني العام كما يتجلى في جهاد نصارى إسبانيا، والديني المهدوي الخاص كما يتجلى في جهاد المسلمين من غير الموحدين فقد جاءت المظاهر الدينية في نشاطهم العسكري شاملة للمظهرين.

وتتجلى المظاهر الدينية في النظام العسكري خير ما تتجلى في زيارة الخلفاء إلى قبر المهدي في تينملل قبل الخروج إلى الغزو⁽²⁾. وفي مسيرهم

(1) أنظر المن بالإمامة ص 201-202، 398-399، 462-463، 525، البيان المغرب ج 3 ص

84.

(2) المن بالإمامة ص 215-216، المعجب ص 314، البيان المغرب ج 3 ص 157، 403، 410.

يقدمون على الموكب جملاً يحمل مصحف عثمان الذي احتفوا بتزيينه وزخرفة أوعيته⁽¹⁾، ويلي بغل عليه مصحف ابن تومرت، وبغل محمل بربعة مربعة تحتوي على كتب الحديث الصحاح⁽²⁾. ويدل على اهتمام الموحدين بالمظهر الديني لحروبهم جمعهم لأحاديث الجهاد، وإملاؤها على الموحدين قبل خروجهم للقتال⁽³⁾. ولما كانت القبائل التي تكون عصب الجيش تواقه للكسب المادي، فقد حرص الموحدون على ربط التذكير بفضل الجهاد بما يمكن أن يناله المجاهدون من نعيم بما يغنمون⁽⁴⁾. ومن مظاهر هذا الاهتمام تكوين فرقة لقراءة حزب من القرآن وشيء من الحديث وعقائد ابن تومرت بالغدو والعشي في حالتي الإقامة والسفر⁽⁵⁾. والحرص على أداء الصلوات في المسير وأثناء القتال⁽⁶⁾. والتقييد بتقاليد السلف الصالح في آداب الحرب من إنذار العدو وإعذاره⁽⁷⁾، وتجنب خراب الزرع⁽⁸⁾، واستصحاب الفقهاء والصلحاء والقضاة⁽⁹⁾.

وتنبه الموحدون إلى أهمية العامل الديني في إذكاء الحماسة في نفوس المقاتلين، فكانوا لا يشتركون في معركة إلا بعد أن يعطوا الناس، وكان المهدي

(1) راجع عن مصحف عثمان المن بالإمامة ص 439-440، 445، البيان المغرب ج 3 ص 129-130، 471-472، المعجب ص 252-253، الحلل الموشية ص 127، نفح الطيب (ط. الرفاعي) ج 5 ص 51، 152، 155، 158، 175-184، المنوني ص 262-263، 269-268.

(2) ابن شريفة ص 120 نقلاً عن رسائل ابن عميرة المخطوطة.

(3) المعجب ص 254-255.

(4) رسائل موحدية ص 2، نظم الجمان ص 82-83، 84.

(5) الفصل الخامس ص 212 - 213.

(6) نظم الجمان ص 89.

(7) رسائل موحدية ص 17، 102، 149، 185، 202، المعجب ص 192، المن بالإمامة ص 312، البيان المغرب ج 3 ص 146، 162.

(8) نظم الجمان ص 128.

(9) روض القرطاس ص 146.

يذكر بنفسه⁽¹⁾، وأما عبد المؤمن فقد كان يعظ في أحيان قليلة⁽²⁾، فلهذا كان القائد يقوم بوعظ جنده⁽³⁾ إلى جانب خطبة خطيب الخلافة. ويدل على ما علقه الموحدون من أهمية على عملية التذكير هذه أنهم كانوا يستعملون البربرية إلى جانب العربية⁽⁴⁾.

ولعل خير ما يبين الترابط والتلازم بين الدين الروح العسكرية عند الموحدين الرموز التي اتخذوها دلالة على علو همتهم في الجهاد فقد كتبوا على باب القصبة الشرقي بالرباط الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله...﴾ إلى آخر الآيات⁽⁵⁾. ونقشوا على إحدى نوافذ صومعة حسان جهة البحر صورة سيفين مصلتين رأسيهما إلى السماء⁽⁶⁾.

ومن المفيد دراسة مسلك الجيش في دور الازدهار ثم بعد ذلك دور الانحلال لأن الجيش الموحد في دور الانحلال فقد كل مميزاته وأصبح من عوامل انهيار الدولة، واختلف المسلك في الدورين اختلافاً كبيراً.

الاستعداد:

كان الخليفة عندما يفكر في عمل عسكري يشاور مجالسه الاستشارية⁽⁷⁾ وإذا ما عزم على الخروج أخرج قبة الحمراء والمصحف وأمر بتجهيز الجند⁽⁸⁾.

(1) نظم الجمان ص 82-83.

(2) المصدر ذاته ص 193-194.

(3) المن بالإمامة ص 97، البيان المغرب ج 3 ص 124، 194.

(4) الفصل الخامس ص 212.

(5) سورة الصف (61)، آية 10-12 وانظر المنوني ص 13 نقلاً عن مقدمة مقدمة الفتح.

(6) انظر المنوني ص 13 نقلاً عن مقدمة سوق المهر.

(7) المن بالإمامة ص 502، نظم الجمان ص 226، البيان المغرب ج 3 ص 113، 130.

(8) الحلل الموشية ص 18.

(9) روض القرطاس ص 145.

ثم يبعث كتبه مستنقراً الناس للجهاد⁽¹⁾. وأكد المنصور على الحشد الطوعي⁽²⁾، ولكن في أيام الناصر فرضت على كل قبيلة في المغرب حصّة من الخيل والرجال⁽³⁾، مما يدعوننا إلى القول بأن مبدأ الحشد الطوعي لم ينجح بعد المنصور.

ومن الواضح أن الاستعداد للقتال في الجبهة الأندلسية كان ينال أهمية خاصة عند الموحدين فيرسلون إلى ولاية الأندلس يأمرهم بالاستعداد بالمؤن والرجال⁽⁴⁾. وقد يرسلون ولاية جدداً استعداداً لغزوة حتى يطمئنوا على حسن التجهيزات وكمالها⁽⁵⁾. ويستدعون ولاية المغرب وخاصة إفريقية وبجاية وتلمسان بجندهم وقادتهم ومؤنهم وأسلحتهم⁽⁶⁾. فبينما يشترك جند إفريقية في قتال الجبهة الأندلسية لا يشترك جند الأندلس في قتال الجبهة الإفريقية.

وفي الوقت الذي تتجمع الحشود من كافة أطراف الدولة تكون الأسلحة قد جهزت سواء تلك التي فرضت على القبائل والولايات أو التي صنعت في الحضرة. وفي الوقت ذاته يتكامل جمع المؤن وتخزينها. والدارس لمعارك الموحدين يلاحظ التلازم بين دقة التموين والنجاح العسكري، وانفراط عقد التموين والفشل الحربي في التاريخ الموحدي. وكان عبد المؤمن شديد الاهتمام بأمر تموين جيشه. ففي استعداده لغزو إفريقية أمر العمال بنقل الغلات إلى المنازل التي سينزلها الجيش مدة ثلاث سنين⁽⁷⁾. ولما عزم على غزو الأندلس

(1) المن بالإمامة ص 411 - 419، المعجب ص 235، 256، البيان المغرب ج 3 ص 39، 130-128، 90-88.

(2) البيان المغرب ج 3 ص 174.

(3) روض القرطاس ص 154.

(4) البيان المغرب ج 3 ص 132، 235.

(5) المصدر ذاته ج 3 ص 174، 192، الجبر ج 6 ص 503-504.

(6) المن بالإمامة ص 411-419، وفيات ج 6 ص 5، البيان المغرب ج 3 ص 99-88، الجبر ج 6 ص 500، 504، 505.

(7) الكامل ج 11 ص 241، نهاية الأرب ص 210.

(1162/557) أخذ في إعداد القمح والشعير والعلوفات وقد عاينها ابن صاحب الصلاة مكدسة «كامثال الجبال»⁽¹⁾. وقد كانت مثل هذه الاستعدادات من عوامل انتصاراته.

ولم يستطع يوسف المحافظة على تلك الدرجة من كمال الاستعداد وكان نقص المؤن من أهم أسباب فشل أعماله الحربية في الأندلس⁽²⁾. أما المنصور فقد حفل بمؤن جيشه سواء في أعماله العسكرية في إفريقية أو الأندلس⁽³⁾. وعلق ابن عذاري عن استعداد المنصور لغزوة إفريقية فقال: «كان الناس يمشون كأنهم في أحسن مساكنهم ويتنقلون من الترفه والتمتع بما لم يعهدوه في معاشهم ولا اقتدروا عليه في أماكنهم»⁽⁴⁾. وكان المنصور يحدد عدد جيشه حسب ما جمع من مؤن⁽⁵⁾. كما أن الخطة العسكرية كانت توضع مع مراعاة موقف الجيش التمويني وتمشياً مع ذلك الموقف كان يقرر الهجوم أو الانسحاب⁽⁶⁾.

ولما جاء الناصر كان يعمل جاهداً للاهتمام بالمؤن في جميع المراحل التي ينزلها الجيش⁽⁷⁾. ولكنه في مسيره إلى العقاب اكتشف وهو في فاس نقصاً شديداً في المؤن فنكب العمال المكلفين⁽⁸⁾. وقد كانت قلة المؤن من الأسباب لهزيمة الموحدين في العقاب، تلك الهزيمة التي لم يقل جيشهم بعدها العثرة. ومن كمال الاستعداد كان الخلفاء يأمرهم بتمهيد المسالك التي يسلكها

(1) المن بالإمامة ص 214.

(2) المصدر ذاته ص 500-501.

(3) مثلاً أنظر حملة شلب في رسائل موحدية ص 226، البيان المغرب ج 3 ص 174.

(4) البيان المغرب ج 3 ص 158.

(5) الكامل ج 11 ص 521، نهاية الأرب ص 222.

(6) رسائل موحدية ص 227، البيان المغرب ج 3 ص 180، 185، 186، 198، 302.

(7) البيان المغرب ج 3 ص 235.

(8) المصدر ذاته ج 3 ص 337، روض القرطاس ص 155.

الجيش، وبحفز الآبار في الطرقات⁽¹⁾ ونصب الجسور في أماكنها⁽²⁾. وشهدت الفترة الموحدية عمراناً واسعاً في المجال العسكري من تشييد قناطر وبناء حصون في المنازل. فقد أقاموا جسر وادي أم الربيع⁽³⁾ وقناطر تانسيفت⁽⁴⁾ وأشيلية⁽⁵⁾ وسلا⁽⁶⁾. وكانوا حصوناً تنزلها عساكرهم في طريقهم إلى القتال، في رباط سلا⁽⁷⁾، التي كانت مركزاً لتجمع الجيوش الزاحفة نحو إفريقية أو ندلس⁽⁸⁾، ومثل جبل الفتح بالنسبة للاندلس⁽⁹⁾.

السير:

ومتى اكتمل الاستعداد وأراد الخليفة الخروج ضرب طبل الرحيل. وعادة يبدأ سير الجيش بعد أداء صلاة الصبح، فينادي منادي «الاستعانة بالله والتوكل عليه» فيخرج الخليفة من خيمته راكباً وحوله أعيان القراية وأشياخ الموحدين مشاة بين يديه خطوات كبيرة، ثم يأمرهم بالركوب، ويسط يديه بالدعاء فإذا فرغ قرأ أهل الحزب حزباً من القرآن وشيئاً من الحديث وعقائد ابن تومرت وهم في سير رفيق، فإذا فرغوا وقف الخليفة ودعا⁽¹⁰⁾. وكان يخرج من مراکش من باب

(1) الكامل ج 11 ص 241، نهاية الأرب 210.

(2) البيان المغرب ج 3 ص 158، 235.

(3) المن بالإمامة ص 443.

(4) المصدر ذاته 449-450.

(5) المصدر ذاته 234-235، البيان المغرب ج 3 ص 138، روض القرطاس ص 123.

(6) المن بالإمامة ص 450، الاستبصار ص 141.

(7) عن بناء رباط سلا راجع المن ص 448-449، الاستبصار ص 140-141، المعجب ص 266، الكامل ج 12 ص 145، وفيات ج 6 ص 9، البيان المغرب ج 3 ص 188، نهاية الأرب ص 228.

(8) المن بالإمامة ص 218، المعجب ص 235، البيان المغرب ج 3 ص 39، 130، 177، 236، روض القرطاس ص 139.

(9) المعجب ص 212، روض القرطاس ص 130.

(10) المعجب ص 342، ونداء الركوب عند ابن القطان هو الاستخارة بالله والتوكل عليه (انظر نظم الجمان ص 127).

دكالة⁽¹⁾. وسير الجيش إلى الغداة ثم ينزل ويستأنف السير من صبح غد⁽²⁾. وفي حالتي النزول أو استئناف المسير تتبع نفس المراسيم التي اتبعت في بداية السير.

وللسير ترتيب لا يتبدل في الأحوال الطبيعية وهو أن يتقدم مائة فارس بمصحف عثمان⁽³⁾، والعلم الأبيض من ورائهم⁽⁴⁾، وعلى بعد ربع ميل يسير الخليفة⁽⁵⁾ فالقراية، تتبعهم البنود والطبول فالمدبرون لدولته ثم يتابع الناس حسب قبائلهم، ووفق سبقهم في الدعوة أو الدخول في طاعة الدولة⁽⁶⁾ ولكل قبيلة ترتيب في المسير ومنزل في النزول لا تتعداهما⁽⁷⁾. وفي حالات قليلة قد يختلف ترتيب السير هذا، ففي الرجوع من الغزو تقدم الحمولة والأثقال ثم الناس، وآخر خباء يقلع هو خباء الخليفة. وربما يترك الخليفة ساقته في المؤخرة لدفع العدو عن الضعفاء من الناس⁽⁸⁾. وفي الجواز تجوز العساكر أولاً ثم الخليفة في ساقته⁽⁹⁾. ومخالفة نظام السير هذا قد تأتي بنتائج وخيمة كالكارثة التي أحلت بالجيش الموحد في شتريين عندما رحل الجند دون نظام وخطوة⁽¹⁰⁾.

وللجيش منازل معلومة ينزلها⁽¹¹⁾، ومسالك معينة يسكلها، وكل شيء كان

(1) المن بالإمامة ص 418، البيان المغرب ج 3 ص 93، 130.

(2) الحلل الموشية ص 127.

(3) المصدر ذاته ص 127.

(4) المن بالإمامة ص 418، البيان المغرب ج 3 ص 129.

(5) نظم الجمان ص 127.

(6) المن بالإمامة ص 418، نظم الجمان ص 127، البيان المغرب ج 3 ص 19، 130، الحلل الموشية ص 127-128.

(7) الحلل الموشية ص 128.

(8) المن بالإمامة ص 502-503، البيان المغرب ج 3 ص 97، 136.

(9) المن بالإمامة ج 3 ص 92، 130، 188، 237، 452، روض القرطاس ص 140، 146.

(10) راجع المعجب ص 258-259.

(11) انظر المنازل بين مراکش وسلا في المن بالإمامة ص 441-443.

يتم على نسق مقرر، حتى أن الجواز إلى الأندلس له نسق لا يتبدل فإذا نزلت العساكر قصر مصمودة فجوازها إلى طريف⁽¹⁾، وإن نزلت سبتة فإلى جبل الفتح⁽²⁾. وكان الجيش يبطئ في حركته⁽³⁾، حتى أن عبد المؤمن قطع المسافة من سلا إلى تونس في ستة أشهر بينما هي مسيرة سبعين يوماً للمجد الراكب⁽⁴⁾. وقطع يوسف المسافة من مراكش إلى سلا في سبعة عشر يوماً⁽⁵⁾. وهذا البطء في السير كان يحفظ على الجند قوتهم ويوفر عليهم طاقتهم للقاء العدو. وقد يسير الجيش في تعبئة وغالباً ما يكون ذلك في الأندلس⁽⁶⁾. وإذا ما وصلوا قرب محلة العدو باتوا ثم استعدوا للقتال في اليوم الثاني⁽⁷⁾.

الضبط والربط:

إن سير الجيش وفق نظام خاص يمثل نوعاً من أنواع الانضباط العسكري الذي حرص خلفاء دور الازدهار على تثبيته في نفوس العساكر، فلهذا كان الخليفة يميز (يعرض)⁽⁸⁾ جنده في كثير من الأوقات. وفي بداية الحركة الموحدية ارتبط التمييز بتطهير صفوف الموحدين من المنافقين أو الذين يخشى عدم طاعتهم⁽⁹⁾، ولكنه ظل مستمراً منذ أيام المهدي وحتى نهاية الدولة كعمل

(1) المن بالإمامة ص 194، 492، البيان المغرب ج 3 ص 92، 192، روض القرطاس ص 154، 155.

(2) المن بالإمامة ص 147، البيان المغرب ج 3 ص 132، روض القرطاس ص 140.

(3) المن بالإمامة ص 197، 217، 218.

(4) الحلل الموشية ص 127.

(5) المن بالإمامة ص 194.

(6) راجع المن بالإمامة ص 194، البيان المغرب ج 3 ص 133.

(7) البيان المغرب ج 3 ص 162-163.

(8) التمييز بمعنى العرض استعملها ابن عذاري وصاحب الحلل الموشية في حديثهما عن الدولة المرابطية ولكننا لا نعرف هل استعمل المرابطون الكلمة مثلما استعملها الموحدون؟

(9) راجع الكامل ج 10 ص 573-576، نظم الجمان ص 102-104، 114، وفيات ج 4 ص 143-144.

عسكري يعرض فيه الجند بسلاحهم التام⁽¹⁾.

والتمييز قد يكون في الحضرة⁽²⁾ أو في أثناء المسير إلى معركة⁽³⁾ أو قبل المعركة⁽⁴⁾ أو بعدها⁽⁵⁾. وإذا ما كان في الحضرة فإنه يكون في رحبة قصر الخلافة بدار الحجر⁽⁶⁾. وربما كان الخليفة في مكان مظل⁽⁷⁾ أو طاف عليهم في صحبة الوزراء والكتاب والقراة⁽⁸⁾. وكثيراً ما ميّزت الجيوش في إشبيلية قبل مواصلة السير⁽⁹⁾.

وكانت العناصر تعرض بحسب ترتيب خاص. وقد وصلت روايات متباينة سبقت مناقشتها في الفصل الثاني⁽¹⁰⁾، من تلك المناقشة تبين أن ترتيب المجموعات مر بفترتين مختلفتين: فترة المهدي ثم فترة عبد المؤمن. ففي حياة المهدي كان أول العناصر عرضاً أهل الجماعة وعلى رأسهم عمر أصناج⁽¹¹⁾ فأهل خمسين فالطلبة فأهل الدار فقبايل الموحدين وأولهم هرغة فأهل تينملل فكدمية فكنفيسة فهنتاتة فالقبايل فالجند فالغزاة. ولكن بعد أن نال عبد المؤمن الخلافة وحولها إلى ملك وراثي، وتغير مفهوم التوحيد وغداً سياسياً، وتحالف عبد المؤمن مع عناصر معينة، اختل الترتيب الأول ولكنه احتفظ بمبدأ الأسبقية في التوحيد كمبدأ عام، إلا في تقديم كومية على كثير من قبائل الموحدين التي انبنى عليها

(1) المعجب ص 201، 297، البيان المغرب ج 2 ص 193.

(2) المن بالإمامة ص 435-437، نظم الجمان ص 226، البيان المغرب ج 3 ص 91، 128.

(3) المن بالإمامة ص 510، البيان المغرب ج 3 ص 19، 133.

(4) المن بالإمامة ص 492.

(5) المصدر ذاته ص 293، نظم الجمان ص 123، البيان المغرب ج 3 ص 67.

(6) البيان المغرب ج 3 ص 91-92.

(7) المعجب ص 201.

(8) البيان المغرب ج 3 ص 193.

(9) المعجب ص 282، البيان المغرب ج 3 ص 132، 198.

(10) راجع الفصل الثاني ص 62-63، والمعجب ص 329، 341-342.

(11) راجع نظم الجمان ص 123.

الأمر، وتقديم هتاتة حتى احتلت المركز الثالث بين قبائل الموحيدين، وتقديم أبنائه على أشياخ الموحيدين. ولما انضم العرب إلى الجيش كانوا يعرضون على ترتيب توحيدهم وكانت زغبة أولهم عرضاً⁽¹⁾.

ومن مظاهر الضبط والربط في الجيش الموحيدي الحزم الذي أخذ به الجند فمن يترك موضعه يعزر بالسياط⁽²⁾ أو تستصفي أمواله⁽³⁾، ومن يتخلف عن المبيت بالمحلة يضرب تأديباً وعقاباً⁽⁴⁾، ومن يخالف قرارات القيادة قد يُسجن⁽⁵⁾، ومن يتخلف عن حملة عسكرية يحرم العطاء حتى يتوب ويستغفر⁽⁶⁾. ومتى خولفت قواعد الضبط والربط وقعت الكارثة مثل الذي حدث في شتيرين⁽⁷⁾.

الخطط الحربية:

من خطط الموحيدين التلاحم الكامل بين الجند وقادتهم وقد ألمعنا إلى ذلك في حديثنا في هذا الفصل عن أثر العامل الديني في نفسية الجيش الموحيدي، ومن التلاحم الكامل الترابط بين قادة التشكيلات والوحدات مع القيادة العامة. وقد كان هذا الهدف يتم باستشارتهم في كل أمور الحرب، فكان خلفاء دور الازدهار على تفاوت بينهم يستشيرون القيادات في الجهة التي يقصدون⁽⁸⁾، والخروج وميقاته⁽⁹⁾،

(1) المن بالإمامة ص 435.

(2) المصدر ذاته ص 500.

(3) البيان المغرب ج 3 ص 181.

(4) البيان المغرب ج 3 ص 132-133.

(5) المصدر ذاته ج 3 ص 199.

(6) المصدر ذاته ج 3 ص 125.

(7) راجع المعجب ص 258-259، البيان المغرب ج 3 ص 134، 136-137، روض القرطاس ص 140.

(8) نظم الجمان ص 228، الحلل الموشية ص 118، البيان المغرب ج 3 ص 130.

(9) البيان المغرب ج 3 ص 113، العبر ج 6 ص 490، 518.

واللقاء ووقته⁽¹⁾ وكيفيته⁽²⁾، ونتيجة المعركة انسحاباً⁽³⁾ أو شروطاً تملئ على العدو⁽⁴⁾. وقد كان لاستشارة أشياخ الأندلس في أمور القتال في الجهة الأندلسية أهمية كبرى لمعرفةهم ببلادهم والعدو⁽⁵⁾. وقد جاءت هذه الاستشارة بنتائج إيجابية مثل ضم شرق الأندلس⁽⁶⁾ والانتصار في الأرك⁽⁷⁾. وبقدر ما اتسعت دائرة المشورة والتزم الخلفاء بنتائج الاستشارة كان النجاح كبيراً، مثل أيام عبد المؤمن والمنصور. وبقدر ما ضاق نطاق المشورة وقل الالتزام بنتائجها كان الفشل حليفها، مثل أغلب أعمال يوسف والناصر. ولم تكن ليوسف خطة واضحة عندما خرج إلى الأندلس عام وبذه وشترين فهذا كان عمله فيهما مظاهرات حربية فاشلة⁽⁸⁾.

وكان الموحدون يعتمدون على المباغته والمفاجأة. فالجيش يتحرك في سرية تامة إلى الجهة التي تحدد⁽⁹⁾ وقد يعلن عن جهة غيرها⁽¹⁰⁾، ويسلك طرقاً لم تعهد في السير إلى الجهة المقصودة⁽¹¹⁾. وقد كانت المفاجأة عاملاً حاسماً في عدد غير قليل من معاركهم⁽¹²⁾. وربما تفشل المعركة إذا ما كشف أمر الجيش إن

(1) المن بالإمامة ص 494، 498، 507-508، البيان المغرب ج 3 ص 151، 159.

(2) المن بالإمامة ص 218-220، البيان المغرب ج 3 ص 198، روض القرطاس ص 146-147.

(3) المن بالإمامة ص 502.

(4) البيان المغرب ج 2 ص 167.

(5) راجع المعجب ص 229، نظم الجمان ص 138، البيان المغرب ج 3 ص 85، روض

القرطاس ص 146-147.

(6) المن بالإمامة ص 402-403، 489، البيان المغرب ج 3 ص 85-86.

(7) روض القرطاس ص 146-147.

(8) المن بالإمامة ص 473، 502، المعجب ص 258، البيان المغرب ج 3 ص 130،

134-136، روض القرطاس ص 140.

(9) نظم الجمان ص 226، الحلل الموشية ص 118.

(10) المعجب ص 314، الحلل الموشية ص 123، 125، الكامل ج 11 ص 158.

(11) راجع رسائل موحدية ص 186، 187، 195.

(12) راجع المن بالإمامة ص 198، البيان المغرب ج 3 ص 52.

لم يكن يعتمد إلا على المباغثة⁽¹⁾. وتجلت المباغثة في أتم صورها كخطة حرية في خلافتي عبد المؤمن والمنصور.

وللموحدين حيل حرية متعددة فيختلفون الرسائل⁽²⁾، وينصبون الكمائن، ويتصنعون الفرار استدراجاً لأعدائهم حتى يقودوهم إلى كمين أعد لهم⁽³⁾. كما أنهم كانوا يستخدمون الجواسيس⁽⁴⁾.

ومن خططهم أن البلد التي تفتح صلحاً يعاملونها معاملة كريمة⁽⁵⁾، وأما تلك التي تفتح عنوة فيستخدمون كل وسائل الشدة والعنف⁽⁶⁾. وكان لهذه السياسة أثر فعال في استسلام المدن لجيوشهم ولقد لعب الأمان دوراً بارزاً في فتح شرق الأندلس من بني مردنيش⁽⁷⁾.

طريقة القتال:

عندما يقرر الموحدون الصدام مع عدوهم كانوا يبعثون مقدمة لتعلم قوة العدو وعدده⁽⁸⁾. وفي أغلب الأحيان كانت هذه الطليعة تقوم بالهجوم الأولي، ثم يشترك الجيش النظامي في المعركة⁽⁹⁾. ونحن لا نعلم ممن كانت تتكون المقدمة، غير أنه في الحالات التي لم تذكر فيها طليعة للجيش كان المطوعة يقومون بالهجوم الأولي⁽¹⁰⁾.

(1) أنظر رسائل موحدية ص 226-227.

(2) المن بالإمامة ص 117-118، البيان المغرب ج 3 ص 40.

(3) نظم الجمان ص 242، الحلل الموشية ص 113، البيان المغرب ج 3 ص 11، 16، 22.

(4) المن بالإمامة ص 118، 402، البيان المغرب ج 3 ص 150.

(5) الكامل ج 11 ص 59، نهاية الأرب ص 205.

(6) المعجب ص 274.

(7) المعجب ص 250.

(8) المن بالإمامة ص 519-520، البيان المغرب ج 3 ص 19، 133.

(9) راجع رسائل موحدية ص 24-25، 28، المن بالإمامة ص 197، 491-492، الكامل ج 11 ص 159، 284، البيان المغرب ج 3 ص 198، 199، نهاية الأرب ص 204.

(10) روض القرطاس ص 147.

وفي ميدان المعركة كان الجيش النظامي يصنع دائرة مربعة في جهاتها الأربع تصف الرجال بالقنا الطوال والطوارق المانعة ووراءهم أصحاب الدروع والحرا، ومن وراء هؤلاء أصحاب المخالي فيها الحجارة، ووراءهم الرماة، وفي وسط المربع الخيل التي تخرج من أماكن أعدت لها دون أن تخل بنظام الرجال⁽¹⁾، ومن وراء الجيش النظامي يجلس الخليفة في قبّة الحمراء وحولها الحرس من العبيد ولا يتدخلون إلا إذا فشل الجيش النظامي⁽²⁾.

واتبعت طريقة المربع هذه في حروب عبد المؤمن ولم تذكرها المصادر في معارك غيره من الخلفاء الآخرين. ويحدثنا صاحب روض القرطاس أن الجيش الموحيدي في معركة الأرك اتبع نظام التعبئة الخماسية. وشكل من مقدمة وميمنة وميسرة وقلب وساقة. وينبئنا أن الجيش النظامي كان في ساقة الخليفة والمطوعة كانوا في المقدمة بينما كان في الميمنة والميسرة والقلب حشود القبائل البربرية والعربية والجند الأندلسي⁽³⁾. ولا ندري هل وفق المنصور بين هذا النظام من التعبئة وطريقة المربع تلك؟.

الجيش في دور الانحلال:

من كل ما تقدم يتضح أن دوري التأسيس والازدهار هما العصر الذهبي للجيش الموحيدي ففيهما كثرت أعداده وتعددت عناصره، وتوفرت عدته، وانتظمت مؤنه ووفقت خططه، وانضبط جنده على الرغم من الثغرات التي بدت في بعض الأحيان في تفكك القيادة، وقلة تجربتها وانعدام المؤن أو قتلها، وفوضى الخطط، لا سيما في خلافة يوسف بن عبد المؤمن. ولكن نقاط الضعف هذه لم تشر مشاكل خطيرة في دور الازدهار فقد غطت عليها الانتصارات العسكرية والحماسة الدينية. ولما جاء دور الانحلال كانت الفكرة قد ذبلت، والخلاف قد قسّم الموحيدين إلى أحزاب متخاصمة متحاربة، بل إن الأسرة

(1) الحلل الموشية ص 108.

(2) المن بالإمامة ص 493، البيان المغرب ج 3 ص 133، 163.

(3) روض القرطاس ص 147-150.

الحاكمة نفسها كانت ضحية انقسام داخلي دامي، فتفتت قوة الجيش وضاعت فعاليتها.

والنقطة التي يستطيع الدارس أن يجعلها البداية الظاهرة لانحلال الجيش هي موقعه العقاب (1212/609) فلم يلتزم الخليفة بمشورة⁽¹⁾، واستبد الوزير بتصرف الأمور من غير استشارة القيادات⁽²⁾. فضعت الصلة بين القيادة العامة والجند، يدلنا عليها طرد الأندلسيين قبل المعركة⁽³⁾، وتمرد الموحيدين أثناء القتال⁽⁴⁾. أضف إلى هذا ضعف الاستعداد الذي تجلى في قلة المؤن⁽⁵⁾، وسوء التخطيط الذي وضع في سوء التوقيت⁽⁶⁾، وعدم اليقظة والمبادرة حتى أن الجيش النصراني دهم الموحيدين قبل أن يستعدوا للقاء فهزموا⁽⁷⁾.

وكانت نتيجة المعركة كارثة على الجيش الموحيدي، إذ لم يستطع الخلفاء بعدها حشد جيش يجمع كل عناصر الجيش التي كانت في عصر الازدهار. كما أن الناس عزفوا عن التطوع. وتركت الأندلس تواجه مصيرها دون عون مرتجى من المغرب. وفشل الولاة في رد الخطر النصراني حتى عندما يصل حواضر ولاياتهم على الرغم من ضغط العامة⁽⁸⁾. وأصبحت الجيوش تفر من الميدان قبل لقاء العدو⁽⁹⁾.

وتابع الجيش مسيرته الهابطة في المغرب وتكرس انحلاله. يدل على ذلك

(1) البير ج 6 ص 522.

(2) روض القرطاس ص 157-158.

(3) روض القرطاس ص 158، الروض المعطار ص 137، الاستقصا ج 2 ص 222-223.

(4) المعجب ص 322، البيان المغرب ج 3 ص 241.

(5) البيان المغرب ج 3 ص 236-237.

(6) المصدر ذاته ج 3 ص 239، الروض المعطار ص 110.

(7) المعجب ص 321.

(8) الروض المعطار ص 128-129، 136.

(9) روض القرطاس ص 161، الروض المعطار ص 162.

الهزائم المتكررة أمام بني مرين⁽¹⁾، وفشل الحملات المتعددة في ردع ابن بدر الناصر في السوس⁽²⁾. وخير ما يجسد نقول انهزام الجيش الموحيدي في موقعة بني بهلول (1255/653) أمام بني مرين دون قتال⁽³⁾. ولم يبق للخليفة سلطة إلا في بعض المدن ولم يستطع المرتضى الخروج من حضرته⁽⁴⁾، التي حفظها بإتاوة يدفعها كل عام للمرينيين⁽⁵⁾.

وإن كانت العقاب هي البداية الظاهرة للانحلال فإن عوامل الانحلال ضاربة الجذور في دور الازدهار، إذ أن ضعف الفكرة المهدية التي أرجعنا إليها السبب إنما بدأ تدريجياً. ويدل على هذا الضعف في الجيش أن القتال في سبيل الفكرة والاستشهاد في سبيلها لم يعد هدف المقاتلين، بل أصبح هدفهم استغلال الجيش لتحقيق المطامع الشخصية. وهي ظاهرة بدأت في عصر الازدهار، واتسع نطاقها في عصر الانحلال. وساعد في ذلك عاملان؛

أولاً: تبدل هدف القادة من ردع للثوار المحاربين، وجهاد للأعداء الكافرين، من روم ومجسمين إلى اتخاذ الجيش أداة سياسية للاستعلاء وفرض النفوذ لحساب أشخاصهم أو غيرهم. فمن النسق الأول محمد بن عبد الكريم قائد الجيش بالمهدية، الذي استقل بها فترة من الزمن في أواخر خلافة المنصور وصدرًا من أيام الناصر⁽⁶⁾. وشديد متولي فاس الذي استغل الجند البرومي في خلافة المرتضى لاستعباد الأهلين واستيزاز أموالهم⁽⁷⁾. ومن النمط الثاني ما كان يرافق كل نزاع على الخلافة.

(1) راجع البيان المغرب ج 3 ص 392-394، 399، البير ج 6 ص 537، 542.

(2) البيان المغرب ج 3 ص 405-407، 415.

(3) المصدر ذاته ج 3 ص 410-414، روض القرطاس ص 173، البير ج 6 ص 543-544.

(4) البيان المغرب ج 3 ص 433-434، البير ج 6 ص 545.

(5) المصدر ذاته ج 3 ص 440، ج 6 ص 546-547.

(6) الكامل ج 12 ص 146-147، نهاية الأرب ص 227-229.

(7) البيان المغرب ج 3 ص 399.

ثانياً: ازدياد عدد المرتزقة من عرب وروم. فقد كان إدخال العربان في الجيش كارثة على أهداف الجيش ونظامه. إذ لا هم لهم إلا السلب والنهب. فهم لا يعرفون نظاماً، ولا يتقيدون بأوامر فمنذ عصر الازدهار كانوا يتمردون⁽¹⁾، يفرون من المعارك⁽²⁾، غير أن خلفاء عصر الازدهار كانوا يلاحقونهم بالعقاب الحاليين⁽³⁾. ولكن النزاع على الخلافة يسر لهم في دور الانحلال فرصة عظيمة وتجارة رابحة. فكان لهم دور بارز في كل فتنة تنشب، وحرب تندلع. فشايعوا هذا الحزب أو ذاك متوخين مصلحتهم المادية. فلم يتورعوا عن بيع محلة قائدهم لقاء جعل من المال. وهذا ما فعله الخلط مع الرشيد⁽⁴⁾ ثم السعيد⁽⁵⁾ والمعقل مع يحيى⁽⁶⁾.

وأما الروم الذين تكاثروا عددهم مع المأمون وكانوا عماد جيشه لما انقسم الموحدون على أنفسهم، فقد كان همهم المال فكان الرشيد يرضيهم به⁽⁷⁾. وفي عهد المرتضى تعددت حوادث عدم الطاعة في صفوفهم⁽⁸⁾. وأصبحوا مثل العربان يتحولون لمن يدفع أكثر ولهذا تركوا المرتضى لما عجز عن طلباتهم، وشايعوا الواثق أبا دبوس⁽⁹⁾.

(1) راجع المن بالإمامة ص 507-508، البيان المغرب ج 3 ص 199.

(2) الكامل ج 11 ص 507، البيان المغرب ج 3 ص 147، 160، نهاية الأرب ص 222.

(3) المن بالإمامة ص 500، البيان المغرب ج 3 ص 125.

(4) البيان المغرب ج 3 ص 296، العبير ج 6 ص 535.

(5) البيان المغرب ج 3 ص 386-388، روض القرطاس ص 172، العبير ج 6 ص 541.

(6) روض القرطاس ص 166، العبير ج 6 ص 533-534.

(7) البيان المغرب ج 3 ص 281، 285.

(8) راجع المصدر ذاته ج 3 ص 435، العبير ج 6 ص 546.

(9) البيان المغرب ج 3 ص 442-443، العبير ج 6 ص 548.

الأسطول:

التكوين:

لم يهتم الموحدون بتكوين أسطول في دور تأسيس دولتهم، لأن صراعهم مع المرابطين كان حول المناطق الداخلية. أما الساحل فقد كان يمثل أطراف منطقة هذا الصراع، ولم يجد الموحدون حاجة للأسطول في هجومهم على المدن والحصون الساحلية، وخاصة وأن المرابطين لم يستخدموا أسطولهم على الرغم من قوته للدفاع عن مدن المغرب الساحلية. ولم ترد في المصادر التي بين أيدينا إلا إشارة واحدة عن الأسطول في صراع المرابطين مع الموحيدين في المغرب. فقد جهز تاشفين بن علي قطعاً من الأسطول عند مرسى وهران لا دعماً للجيش المقاتل في تلمسان وإنما ليهيئ طريقاً للهروب إذا ما اضطر تاشفين إلى ذلك⁽¹⁾.

وبعد معركة تلمسان ووهران لاح لأهل الأندلس أن نجم المرابطين آفل ولا ريب في ذلك، فهرعوا إلى عبد المؤمن وهو محاصر لفاس. وكان بين من وصل إليه علي بن عيسى بن ميمون، وضم للموحيدين قادس إحدى مراكز الأسطول المرابطي الأساسية⁽²⁾. وتمثل أسرة بني ميمون القيادة الأساسية للأسطول المرابطي⁽³⁾. غير أن هذا القول يجب ألا يبعث على الظن بأن هذا الحدث يمثل تاريخ وراثته الموحيدين للأسطول المرابطي، لأن قاعدته الأولى وهي المرية⁽⁴⁾ لم تفتح إلا سنة 1157/552. ويبدو أن عبد المؤمن لم يفكر في تكوين أسطول موحيدي إلا بعد فتح مراكش حينما بدأ يخطط لفتح المغربين الأوسط والأدنى والأندلس. فشرع في بناء السفن في سواحل دولته التي اتسع نطاقها في دور الازدهار مما جعل دور الصناعة تكثر فيسر للموحيدين بناء سفن كثيرة في وقت قصير.

(1) الكامل ج 10 ص 579-580، البيان المغرب ج 3 ص 16.

(2) البيان المغرب ج 6 ص 485، العبير ج 6 ص 485.

(3) العبير ج 6 ص 457.

(4) النظام السياسي ص 205.